كعب حتى دخل المسجد فتخطى حتى جلس الى رسول الله فقال يا رسول الله الامان . قال ومن انت قال كعب بن زهير . قال انت الذي يقول — كيف قال يا ابا بكر — فانشده حتى بلغ الى قوله :

سقاك ابو بكر بكاس روية وانهلك المأمون منها وعلّكا

فقال الرسول مأمون والله . ثم انشده كعب قصيدته .

وكعب هذا هو ابن زهير بن ابي سلمى صاحب المعلقة التي هي اشهر من « نفانبك » والتي يقول فيها ومن ومن ومن الى العشر . اما قصيدة كعب فمن « المشوبات » واشهر اصحابها نابغة بني جعدة والقطامي والحطيئة نقيب

شؤون مراكش

وقفنا على مقالة بديعة للسر اشمد بارتلت الكاتب الانكليزي نشرها في مجلة ستراند ذكر فيها بعض من لقيهم من مشاهير الانام ومنهم مولاي عبد الحفيظ سلطان المغرب الاقصى السابق قال : —

كنت جالساً في غرفتي ذات ليلة من ليالي شهر يونيو الجارية سنة ١٩٠٧ واذا بالباب يقرع فلما فتحته رأيت امامي رجلاً لم تقع عيني عليه منذ ثلاث سنوات واخر مرة رأيته فيها كان في يوكاها ببلاد اليابان زمن الحرب الروسية اليابانية . وهو من الافاقين الذين لا يُعرَف ماضيهم ولا يُؤبَه بمستقبلهم فقصّ عليّ سبب زيارته بعد ان وثق مني بكتمان سره قال : — « انت الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يساعدني فقد اتيت من المغرب الاقصى والبلاد كثيرة الخيرات جداً والحال فيها فوضى الآن فان سلطانها عبد العزيز غادر مدينة فاس واقام في طنجة واقام اخوه مولاي عبد الحفيظ وادّعى الملك وهو ذاهب الآن الى فاس . والالمان باذلون جهدهم قصد اخذ الامتيازات وكذلك الفرنسويون . وقد شقّت القبائل عصا الطاعة في كل مكان ولم يجسر احد من الاوربيين على الذهاب الى فاس منذ سنة ونصف الى الآن »

فخيّل لي اني اري امامي مجالاً واسعاً للكسب وقلت له وانت ماذا تطلب مني

فقال « ان تساعدني في بيع البنادق لاهل تلك البلاد حتى يحارب بعضهم بعضاً وهم

يدفعون اي ثمن طلبناهُ وقد سمعة جنيهات للبندقية القديمة من نوع مرتيني ويمكننا ان نبتاع الوفا من بنادق موزر في الفرس بسعر ثلاثين شلنًا البندقية . ووزارة الحربية عندما تبيعنا بنادق مرتيني بعشرة شلنات البندقية اذا تعهدنا لها اننا لا نرسلها الى حيث يمكن ان تستعمل لمحاربة جنودها . وقد اتفقت مع بعض رؤساء الريف على ان يبتاعوا مني كل ما يمكنني تهريبهُ من البنادق بسعر سبعة جنيهات البندقية »

فارتبت في امكان ارسال البنادق الى هناك ولكني رأيت اننا نستطيع ان نعمل اعمالاً اخرى كبيرة محلّلة فقلت لهُ انني اذهب الى المغرب الاقصى من الغد وابحث الامر بنفسي فهل تذهب معي

فقال كلاَّ لان الناس هناك اخذوا يوجسون مني فاذا رأوني معك تعذَّر عليك ان تعمل شيئًا

فقمت في الصباح وقصدت بلاد المغرب فوصلت طنجة في اليوم الخامس ووجدت البلاد قائمة قاعدة بسبب ما حدث من المذابح في الدار البيضاء ونزول الجيوش الفرنسوية الى العرائش منذ شهرين مع هذه الجيوش ثم عدت الى بلاد الانكليز وقد رسخ في ذهني ان الفوز سيكون لعبد الحفيظ لانهُ اقدر من اخيهِ على قمع الثورة فعزمت ان اساعدهُ والفت شركة صغيرة من نوع السنديك اكتتبت بمبلغ من المال وعدت الى المغرب الاقصى واستأجرت ترجمانًا وسرت الى فاس

وكان المغرب الاقصى آخر قطعة دسمة في شمال افريقية لكي تختصم عليها اوربا . وقد اقرَّ مؤتمر الجزيرة على استقلالها ولكن لم يكن هناك ما يكفل العمل بهذا القرار زمانًا طويلاً فان خيرات البلاد كثيرة من الحبوب والمواشي والمعادن والغابات والدولة التي تتسلط عليها يزيد غناها منها

وبلغت فاس بعد مشاق كثيرة وكنت اول اوربي دخلها منذ سنة ونصف فوجدت مولاي عبد الحفيظ هناك جاءها من مراكش عاصمة اخيهِ الجنوبية ولم اكن اعلم كيف يقابلني اذا طلبت مقابلتهُ لانني كنت اسمع انهُ يكره كل الاوربيين ولكنهُ بعث اليَّ صباح اليوم التالي هديةً من الخبز واللحم والاثمار المختلفة واوقف جنديين مسلحين على باب البيت الذي نزلت فيهِ لحراستهِ ثم دعاني الى قصرهِ في الساعة الاولى بعد نصف الليل

وكان في الاربعين من العمر شديد السمرة مجدول الفضل براق العينين بشوش

الوجه اذا كان راضياً وشديد العبوسة اذا غضب · بعد السلام المعتاد اوضحت لهُ غرضي ولم اخفِ عنهُ انني راغب في الحصول على اثمن الامتيازات فوعد ان يعطيني كل ما اطلبهُ اذا جعلتُ اوربا تعترف بهِ سلطاناً وتعقد لهُ فرضاً

والحال دارت المذاكرات مع وكلاء الدول في طنجة للاعتراف بهِ سلطاناً · وكان الفرنسويون قد عرفوا ان عبد العزيز لا يصلح للملك فعزموا ان يؤيدوا عبد الحفيظ على شروط ذكروها احدها ان يعيّن راتباً كافياً لاخيهِ عبد العزيز · وطلب عبد العزيز ان يكون هذا الراتب احد عشر الف جنيه في السنة فيتنازل عن حقهِ في الملك · فاستكثر عبد الحفيظ هذا المبلغ واستدعاني ليستشيرني في الامر

ولما قابلني قال لي ان اخي طلب احد عشر الف جنيه راتباً سنوياً وانا ارى ان اربعة آلاف كثيرة عليهِ فما قولك

فقلتُ لهُ لو كنت مكانك لاعطيتهُ ما طلب

فاستغرب ذلك جداً وقال لماذا

فقلت ان الراتب الذي يعيّن لهُ الآن يصير سابقةً فيعيّن بعد ذلك لكل سلطان يخلع فاذا جاء دورك عيّن لك خلفك مثلهُ

فاغتاظ مني غيظاً شديداً لكنني تمكنت من ترضيهِ · واظن انهُ رضي اخيراً ان يعطي عبد العزيز كل ما طلبهُ · وكانت فراستي في محلها لان عبد الحفيظ لم يقم على عرش المغرب الاقصى الاَّ بضع سنوات ثم اضطرَّ ان يتنازل ويكتفي بالراتب السنوي كما اكتفى اخوهُ

وبعد ان تمت بضعة اشهر لنيل الامتيازات التي كنت اطلبها كدت افشل بدسائس اخوين من بيت مانرمن الالماني والشركة الالمانية التي تشدُّ ازرهما فانهما سعيا لنيل الامتيازات التي كنت اسعى لها انا ولكن عبد الحفيظ كان يكره الالمان والفرنسويين وقال لي مراراً انهُ يودُّ ان يضع بلادهُ تحت حماية انكلترا ويمنحها حقوقاً تجارية دائمة

واخيراً جاء اليوم المعين لتوقيع الشروط التي كنت انتظر ان اصير بها انا وشركائي من كبار الاغنياء فاجتمعت بهِ في القصر وقرأنا الشروط بعد تنقيحها وفيها امتياز بكل مناجم المغرب الاقصى لمدة اربعين سنة من تاريخ افتتاح كل منجم منها وامتياز بانشاء سكك الحديد والمرافىء في البلاد كلها وذلك كلهُ بضمان املاك جامع قاس مقابل ثلثمائة الف جنيه تعطى لعبد الحفيظ في ثلاث سنوات وجانب صغير من ريع المعادن

ولما عرف الالمان ما تمّ لي اخذتهم الدهشة . وبعد يومين غادرت فاس واسرعت الى لندن نذهل شركائي من فوزي وبادروا الى العمل . فعُرضت عليهم الاموال ولكن القدر المحتوم خبأ لنا غير ما اردنا فانهُ قيل لنا انهُ يجب علينا ان ننال موافقة وزارة الخارجية لكي تحمي مصالحنا والاّ فان دفعنا الاموال لعبد الحفيظ ولم يقم بعهوده او لم يقم بها خلفهُ ضاعت اموالنا كلها . فرأينا القول صواباً وخاطبنا وزارة الخارجية فلم تحفل بنا وقالت ان لا محل لشركتنا . فعزمت ان اقرع اعلى باب في البلاد وطلبت مقابلة الملك ادورد فقابلني متلطفاً ومعهُ وكيل وزارة الخارجية السر تشارلس هاردنج . وجلس في كرسي كبير وتناول سيكاراً كبيراً وناولني سيكاراً آخر وامرني ان اقصّ عليهِ قصتي فاخبرتهُ بكل ما جرى لي في المغرب الاقصى بالتفصيل . وكان يسألني من وقت الى آخر مسائل دقيقة تدل على انهُ كان متتبعاً كلامي بالدقة التامة وسألني ايضاً مسائل كثيرة عن عبد الحفيظ . واريتهُ صور الامتيازات فقدرها قدرها واهتم اهتماماً شديداً لما اخبرتهُ ان سلطان المغرب الاقصى يودّ ان يضع بلادهُ تحت حماية انكلترا . ولما اتممت حديثي خرجت من الحضرة وبقي هو مع السر تشارلس هاردنج يتذاكران ولما اتمّا المذاكرة استدعاني وقال لي اني آسف جدّاً لاجلك فانك تعبت كثيراً وحصلت على امتيازات خطيرة الشان ولكن يستحيل على وزارة الخارجية ان تأخذ بيدك لاننا اتفقنا مع فرنسا على ان تطلق يدنا في القطر المصري ونحن نطلق يدها في المغرب الاقصى وتعضدها في كل امر ومن ثمّ فانت ترى انهُ يستحيل على وزارة الخارجية ان تؤيد امتيازاً يحرم فرنسا من مصالح كبيرة في بلاد تمّ الاتفاق بيننا وبينها عليها

ثم نهض وصافحني فعدت من الحضرة وقد انجلت الغشاوة عن عينيّ . عدت بالفشل ولكن ما خامرني من الغيظ والقنوط حينئذٍ لم يعتّم ان زال . ولما اخبرت رفاقي بما حدث اجتمعوا وحلّوا جمعيتهم واقتسموا خسائرها

وهكذا انقضى ذلك المشروع الكبير بعد ان شغل سنتين من حياتي ولم اكتسب منهُ غرضاً . ولما يئس عبد الحفيظ عاد الى ابني مغرمن واعطاها الامتيازات بعد ان عدّلها فافضى ذلك الى حادثة اغادير